

دلائل الإعجاز

ثم إنه لو كان أكثر ألفاظ القرآن غريباً لكان مُحالاً أن يدخل في الإعجاز وأن يصحّ التحدي به . ذاك لأنه لا يخلو إذا وقع التحدي به من أن يُتحدّى مَنْ له علمٌ بأمثاله من الغريب أو مَنْ لا علم له بذلك . فلو تُحدّى به مَنْ يعلم أمثاله لم يتعدّر عليه أن يعارضه بمثله . ألا ترى أنه لا يتعدّر عليك إذا أنت عرفت ما جاء من الغريب في معنى - الطويل - أن تُعارض من يقول " الشّوقب " بأن تقول أنت : " الشّوقب " . وإذا قال : " الأمل " أن تقول : " الأشق " وعلى هذا السبيل . ولو تُحدّى به من لا علم له بأمثاله ما فيه من الغريب كان ذلك بمنزلة أن يتحدّى العرب إلى أن يتكلموا بلسان الترك .

هذا وكيف بأن يدخل الغريب في باب الفضيلة وقد ثبت عنهم أنهم كانوا يرون الفضيلة في ترك استعماله وتجنّب به . أفلا ترى إلى قول عمر بن الخطاب في زهير : إنه كان لا يعاظل بآين القول ولا يتبّع > ووشيّ الكلام . فقارن تتبع الحوشي وهو الغريب من غير شبهة إلى المعاطلة التي هي التعقيد .

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين : ورأيتُ الناس يتداولون رسالة يحيى بن يعمر عن لسان يزيد بن المهلب إلى الحجاج : " إنّنا لقينا العدو وفتلنا طائفةً ولحقت طائفةً بعراعر الأودية وأهضام الغيطان وبيتنا بعُرّة الجبل وبات العدو و " بفضيحه " . فقال الحجاج : ما يزيدُ بأبي عُذْر هذا الكلام . فحمل إليه فقال : أين ولدتَ فقال : بالأهواز :